الديمقراطية(٣٥). ان هذه المقتطفات التي اشرنا اليها تقف جنبا الى جنب مع مقتطفات اخرى ذات نفس تحليلي ونقدي واضح ، ولكنها تضيع (على غرار ادبيات فتح) في دوامة المواقف الانشائية ، ولا تستطيع ان تشكل اللحمة الاساسية لتحليل الجبهة ولكنها مع ذلك لا تفقد قيمتها . تقول جبهة التحرير « ان عامل الاستمرارية في الثورة الذي وفرته قيادة البورجوازية الصغيرة كان قصير النفس وغير قادر على تحويل الترابط الموضوعي بين المرحلتين (مرحلة التحرر الوطني ومرحلة الوحدة القومية) الى ترابط واقعي ينعكس في اعادة صياغة المجتمع جذريا لمصلحة الاغلبية الساحقة فيه (العمال والفلاحين) ، ذلك لان حركتها الى الامام ترابطت مع وعي متزايد لديها بالخطر الذي يتهدد سلطتها السياسية وامتيازاتها من جراء نمو الحركة الجماهيرية ونضوجها »(٣٦).

هنا يقف النقد للواقع العربي الذي أفرز هزيمة حزيران على أرض صلبة . والحديث عن ابتعاد الجماهير عن المشاركة في المعركة لا يرد كوصفة طبية ، بل يرد معللا بأسبابه الحقيقية الكامنة في طبيعة الطبقة السائدة وفي خوفها من تنظيم الجماهير الكادحة لنفسها.

وتمضي جبهة التحرير العربية خطوة أخرى الى الامام موضحة موقفها بدقة أكبر حين تقول « لا تختلف بعض الانظمة العربية التقدمية وبعض الحركات اليسارية في الوطن العربي عن الانظمة الرجعية من حيث منطقها في قضية فلسطين الا بالكم والدرجة وليس بالنوع »(٣٧). ان الانتقال في تحليل الوضع العربي من مرحلة الوصف الى مرحلة التحليل والنقد هو النافذة الوحيدة المفتوحة لامتلاك رؤيا نظرية تضع الحوار بين القوى الوطنية والتقدمية في مسار متنام لا يصطدم بعد الجمل الاولى في حائط طريق مسدود . فهل أستطاعت الجبهة ان تسير خطوات ولو اولية في هذا الاتجاه ؟ ان التدقيق في فهمها لمعنى قومية المعركة ، اي لمعنى التلاحم المصيري بين القضية الفلسطينية والقضية العربية هو الذي يشكل جواب هذه المسألة . وهنا تضع الجبهة منطلقات مبدأية سليمة أبرز ما فيها : ١ ــ رفض فكرة الجبهة العربية المساندة بعد ان « استطاعت القوى المضادة للثورة ان تحرف شعار الجبهة العربية المساندة من مجرد تعبير عن الافاق العربية للعمل الفدائي الفلسطيني الى سجن تقيد فيه هذا العمل وتمنعه من الانطلاق القومي الواسع »(٣٨). ٢ ــ رفض فكرة الدعم العربي المقتصر على المال والسلاح لانه « حين يكون مقياس المساندة والدعم محصورا بالتبرعات يصبح كبار الرأسماليين والاقطاعيين والسماسرة وعملاء الاستعمار أشد وطنية واكثر ارتباطا بحركة المقاومة من الملايين الفقيرة من جماهيرنا الكادحة »(٣٩). ٣ ــ الاصرار على المحتوى السياسي للعمل الفدائي اذ « ان افراغ العمل المسلح من المحتوى السياسي ــ الفكري هو اقرب الطرق الى فشله »(٤٠). ٤ ــ ادراك اهمية التنظيم في الحرب الشعبية (مع صياغة كيفية لشروط هذا التنظيم تختلط فيها المفاهيم المتناقضة) . فالتنظيم المطلوب « قومي التركيب من الناحية التنظيمية ، قومي اشتراكي من الناحية الايديولوجية ، عمالي فلاحي من الناحية الطبقية »(٤١).

هذه المفاهيم المبدأية السليمة كيف تجد طريقها للتطبيق في تنظيم وعمل جبهة التحرير العربية ؟ هنا تتقلص الادعاءات القومية لجبهة التحرير ، وتنحصر في مفهوم رومانتيكي مثالي يرى في اشتراك متطوعين من المقاتلين العرب مع الفدائيين الفلسطينيين التجسيد الامثل لقومية المعركة .

تقول جبهة التحرير : « اذا كانت تلك المعركة عربية اولا واخيرا فهل يعقل بأن تخاض بغير اداة عربية . بغير تنظيم قومي يعبىء المقاتلين العرب في كل اقطار الوطن العربي»(٤٢). وتقول ايضا : « ان هذه الجبهة حين تأتي بالمقاتلين العرب من اطراف الوطن العربي الكبير ليقاتلوا على أرض فلسطين ، انما تكون بذلك نواة الوحدة العربية على الارض التي اراد لها اعداء الامة ان تكون حاجزا بوجه الوحدة العربية»(٤٣). هذه هي الحصيلة النهائية لكل ضجيج قومية المعركة التي تنادي بها جبهة التحرير العربية .